الفكر الإسلامي المعاصر

دراسة وتقويم

الطبعة الثانية
آذار (مارس) ١٩٧٧

الطبعة الثالثة
حزيران - يونية - ١٩٧٧

غازي التوبة

الفكر الإسلامي المعاصر

دراسة وتقويم

دار القلم
بيروت - لبنان

حقوق الطبع والنشر والاقتباس
محفوظة لدار القلم
ص.ب ٣٨٧٤
بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية
آذار (مارس) ١٩٧٧

الإهداء

الى والديّ
احسانا . وخفض جناح .
وأقول : ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

لقي كتاب (الفكر الاسلامي المعاصر . دراسة وتقويما) قبولا في طبعته الاولى أدى الى أن تنفذ نسخه من الاسواق . خلال فترة قصيرة ، وربما كان هذا القبول ناتجا من موضوعه الذي تفتقر اليه المكتبة الاسلامية وهو : تمحيص الفكر الاسلامي ، وغربلته . وتصنيفه . وان كنت ما زلت أعتقد أن هذا الموضوع يحتاج الى جهود كثيرة اخرى .

وهاأنذا أدفعه الى الطبعة الثانية لشعوري بحاجة القارىء المسلم له في هذه الفترة ، وآمل أن يتيسر لي في المستقبل وقت كاف لأردف الامثلة المذكورة في الكتاب بأمثلة أخرى كي تكون صورة المدارس الثلاث : الاصلاحية ، والتاريخية ، والتربوية ، أوضح في ذهن القارىء واجلى .

والله الموفق وله الحمد في الاولى والآخرة .

آذار / ١٩٧٧

مقدمة الطبعة الاولى

تشعبت مناحي الفكر الاسلامي في العصر الحديث . وهذا التشعب دليل حيوية من جهة ، ومبعث قلق وخوف من ان يلبس بعضهم الباطل بالحق ومن ان يدس السم بالعسل في رحابة السعة من جهة ثانية .

ونحن قد تناولنا الفكر الاسلامي بدءاً من محمد عبده دون أستاذه جمال الدين الافغاني وذلك لان الاخير لعب دورا سياسيا اكثر منه فكريا من ناحيـــة ، ولأن مدرسته اخذت بعدها الفكري عند الاول من ناحية اخرى .

وقد وضحنا كل مدرسة من خلال التراث الفكري لكاتبين ؛ فكانت ثـــلاث المدارس التالية :

١ ــ المدرسة الاصلاحية : يقف على راسها محمد عبده مالك بن نبي .

٢ ــ المدرسة التاريخية : يقف على راسها طه حسين ــ عباس محمود العقاد .

٣ ــ المدرسة التربوية : يقف على رأسها تقي الدين النبهاني ــ حسن البنا .

وقد قصدنا التمثيل للمدرسة من الكاتبين اللذين تناولناهما في كل واحدة منهن ، ولم نقصد حصر المدرسة بهما . ويمكن للقارىء أن يمد كل مدرسة الى كتّاب آخرين ، وتراث آخر من خلال الظواهر المشتركة بين النماذج المدروسة وغيرها .

حتما كان الاسلام ميزاننا الذي نرجع اليه في كل امر وحياة الرسول فيصلا نهتدي بها اذا تشاكل الموضوع او تشابه .

وقد هدفنا ــ من هذا الكتاب ــ أن نقدم للقارىء المسلم دليلا يميز به الطيب من الخبيث والصواب من الخطأ ، فاذا كنا قد نجحنا في ذلك ، فتلك منة من الله وتوفيق ، نشكره عليها ونحمده . ولله الامر من قبل ومن بعد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المدرسة الإصلاحية

محمد عبده ـــ مالك بن نبي

١٨٤٩ ١٩٧١

محمد عبده

حياته :

ولد محمد عبده عام ١٢٦٦ هـ — ١٨٤٩ م في قرية محلة نصر من مديرية البحرة لاب تركماني وأم عربية .

تعلّم القراءة بعد ان جاوز العاشرة من سنه . حفظ القرآن على حافظ مخصوص . أرسله والده الى طنطا كي يحسن تجويد القرآن في الجامع الاحمدي. شرع في طلب العلم بذلك الجامع عام ١٢٨١ هـ — ١٨٦٤ م ، فأقام سنة ونصفا ، لكنه لم يفهم شيئا لوعورة المعلومات ، وفجاجة الاسلوب . غادره ، وقرر الزواج والالتحاق بالعمل الزراعي . لكن اباه اجبره على العودة الى الجامع الاحمدي . فأرسل معه رجلا قوي البأس ليوصله الى المحطة ، لكنه فر اثناء الطريق الى بعض أقاربه في (كنيسة أورين) ، والتقى هناك بالشيخ درويش خال أبيه ، وكان — هذا الشيخ — قد ساح في الارض حتى وصل الى طرابلس الغرب ، فأخذ العلم والطريقة من السيد محمد المدني ، وتربى على طريقة الصوفية الحقيقية ، وعني بتفسير القرآن ، وحفظ الموطأ وكتبا اخرى .

فلما نزل محمد عبده ضيفا في داره رحب به . وكلفه ان يقرأ له جملا من كتاب خطي جاءه به ، فأبى ذلك ، فألح عليه مع التلطف به حتى قرأ أسطرا فلما قرأها اندفع الشيخ يفسرها له ، ثم عاد اليه يكلفه القراءة ، وعاد يفسر له ، ثم تركه يلهو ويلعب مع شبان القرية . فما جاء عليه اليوم الخامس الا وقد عشق القراءة ومقت اللهو واللعب ، واستفسر عن طريقتهم وأخذ بها بعد ذلك .

وهكذا استطاع هذا الشيخ الصوفي ان يحل عقدة محمد عبده تجاه العلم والتعليم بأسلوب لبق ذكي ، فعاد محمد عبده الى الجامع الاحمدي وانكب على العلم يجدّ ويجتهد . وانتقل بعد ذلك الى الازهر في عام ١٢٨٢ هـ — ١٨٦٥ م ، وقد رغبه الشيخ درويش في اتقان كل علم كالحساب والهندسة والمنطق . نال شهادة العالمية من الازهر عام ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ م ، فتعين مدرسا في الازهر .

القى على الطلاب مقدمة ابن خلدون ، وقرأ عليهم علم الاخلاق .

جاء جمال الدين الافغاني الى مصر عام ١٨٧١ م بدعوة تلقاها من اسماعيل باشا خديوي مصر اثر خلاف بين الاول ورجالات الاستانة ، وقصد من جلبه الكسب الدعاوي لنفسه . وقد اتصل محمد عبده بجمال الدين ، وحرص على دروسه ، وتوثقت العلاقة بينهما ، وانتسب الى المحفل الماسوني الشرقي الفرنساوي الذي اسسه الاخير ، وعمل في الحزب الوطني الذي كان واجهة سياسية لذلك المحفل .

عزل اسماعيل من الحكم بسبب الضائقات المالية التي أحدثها ولم يستطع حلها ، واعتلى توفيق الخديوية بعده ، وكان احد مريدي الافغاني ، وأحد المنتسبين الى محفله الماسوني ، والمؤمنين بنظرياته الاصلاحية ، ومع ذلك فقد طرده من مصر عام ١٢٩٦ هـ ــ ١٨٧٩ م ، ونفي محمد عبده الى بلدته (محلة نصر) .

انهى رياض باشا الذي استلم رئاسة الوزارة عام ١٢٩٧ هـ ــ ١٨٨٠ م نفي محمد عبده ، واعاده الى القاهرة . وسلمه رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) .

عارض محمد عبده العرابيين قبل ثورتهم . ولكن لما شبت الثورة العرابية عام ١٨٨٢ م اضطر الى المشاركة لمساهمة الناس جميعهم فيها . فقدم الى المحاكمة ، واصدر الحكم بنفيه ثلاث سنوات خارج مصر .

ذهب الى لبنان وأقام فيه نحو سنة ، ثم غادره الى اوروبة اثر موعدة بينه وبين جمال الدين الافغاني ، والتقى به في باريس ، وشكلا جمعية العروة الوثقى، واصدرا مجلة باسم الجمعية . ثم سافر الى انكلترا حيث قابل عددا من المسؤولين الانجليز ، وقد دامت اقامته في باريس نحو عشرة أشهر .

عاد الى بيروت بعد توقف مجلة العروة الوثقى عن الصدور ، فدرس العقائد الاسلامية في المدرسة السلطانية ، وفسرّ القرآن في الجامع الكبير .

توسطت السيدة (نازلي) احدى اميرات الاسرة الحاكمة لدى الحكومة لعودة محمد عبده . وتوسط ايضا رياض باشا صديقه القديم ، فوافق اللورد كرومر على عودته . وامر بأن يعين قاضيا في المحاكم الاهلية في مدينة (بنها) ، وكان ذلك عام ١٣٠٦ هـ ــ ١٨٨٩ م .

خلف عباس الثاني الخديوي توفيق اثر وفاته عام ١٨٩٢ م . اتصل به محمد عبده فعيّنه عضوا في مجلس ادارة الازهر . ثم تولى منصب الافتاء العام للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ ــ ١٨٩٩ م ، واصبح تبعا لهذا المنصب عضوا في مجلس شورى القوانين ، وفي مجلس ادارة الاوقاف . ترأس عام ١٣١٠ هـ ــ ١٩٠٠ م جمعيتي إحياء العلوم العربية والخيرية الاسلامية .

الوضع السياسي والاجتماعي في مصر :

رافقت نشأة محمد عبده سوء الاوضاع في مصر ، وعاصر تفتحه تدهورها .

فقد أثقل اسماعيل(١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) كاهل الدولة بالديون من بنوك أوروبا ودولها، أثقلها ليترف نفسه بمظاهر العظمة الكاذبة ، وليوهم شعبه بالعلو والتقدم ، وليخدع أوروبا عن حقيقة أمره وشعبه . أثقلها وعجز عن سداد الديون ، ففتح بذلك ثغرة واسعة لاوروبا المتربصة تحقق من خلالها أحلامها في السيطرة على مصر.

بدأ التدخل الاجنبي بأن طلب اسماعيل من بريطانيا عام ١٨٧٥ م ان ترسل عنها مندوبا ماليا كفءا يدرس الحالة المالية في مصر كي يستطيع ان يحصل على قرض جديد منها بعد ان وجد فرنسا عاجزة عن ادائه أثر حرب السبعين ، وظن ان بامكانه تضليله بالبذخ والترف عن حقيقة الاوضاع الاقتصادية . لكن البعثة اشارت في تقريرها الى سوء حالة المالية المصرية ، واقترحت ان تخضع للمشورة الاوروبية بأن تنشىء الحكومة مصلحة للرقابة على ماليتها برئاسة شخص موثوق، اشارت تلميحا بأن يكون بريطانياً .

عجز اسماعيل في نيسان ١٨٧٦ م عن سداد الديون المترتبة عليه لدائنيه . وأراد أن يرضيهم فطلب الى وكلاء الدائنين في مصر أن يضعوا الترتيب الذي يكفل لهم ديونهم ، فقدم وكلاء الدائنين الفرنسيين مشروعا بانشاء (صندوق الدين) وتوحيد الديون . استجاب اسماعيل لهذا الطلب وأصدر في ٢ ايار ١٨٧٦ مرسوما ينفذه ، ومهمته أن يكون خزانة فرعية للخزانة العامة تتولى تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية ، وخصص له ايراد مديريات الغربية ، المنوفية ، البحيرة ، اسيوط ، عوايد الدخولية في القاهرة والاسكندرية ، ايراد جمارك الاسكندرية والسويس وبور سعيد ورشيد ودمياط والعريش ، ايراد السكك الحديدية ، رسوم الدخان ، ايراد ضريبة الملح ، مصايد الدقهلية ، رسوم الكباري ، عوايد الملاحة في النيل ، ايراد كوبري قصر النيل ، ايراد أطيان الدائرة السنية .

ثم أصدر في ٧ ايار ١٨٧٦ مرسوما يقضي بتحويل ديون الحكومة والدائرة السنية والديون السائرة الى دين واحد سمي الدين الموحد قدره (٩١) مليون جنيه ايكليزي . ثم أصدر مرسوما ثالثا في ١١ ايار ينص على تشكيل مجلس أعلى للمالية مؤلف من عشرة اعضاء ، خمسة اجانب ، وخمسة وطنيين ومن رئيس يعينه الخديوي .

لم ترق هذه الاجراءات لبريطانيا ، فكانت تريد نفوذا اوسع في داخل مصر، فاتفقت مع فرنسا على طلب الرقابة الثنائية على المالية المصرية ، ووضع السكك الحديدية وميناء الاسكندرية تحت ادارة لجنة مختلطة ، فرضخ اسماعيل اخيرا بعد ان حاول مقاومة هذا الطلب .

وأعقبت الرقابة الثنائية وزارة مختلطة سنة ١٨٧٨ برئاسة نوبار ، فيها وزيران اوروبيان أحدهما بريطاني لوزارة المالية ، والآخر فرنسي لوزارة الاشغال.

ثار الضباط المصريون على وزارة نوبار في ١٨ شباط ١٨٧٩ م لانها أحالت (٢٥٠٠) ضابطا الى الاستيداع ، واهدرت حقوق الوطنيين ، ومالات الاجانب . وضرب الثائرون الرئيس نفسه والوزيرين الاجنبيين . مما دعا الوزارة الى

الاستقالة في اليوم التالي ، ودعا الى تشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد شريف. ثم صدر مرسوم من الاستانة يقضي بخلع اسماعيل واسناد الخديوية الى توفيق في ٢٦ حزيران ١٨٧٩ م .

انتهت هذه الحوادث بثورة أحمد عرابي عام ١٨٨٢ على التدخل الاجنبي ، ثم تلاها الاحتلال الانجليزي لمصر اثر فشلها .

كان المجتمع المصري ـ خلال هذه الحوادث السياسيه ـ فقيرا ، معدما ، ترهقه الضرائب والسخرات التي يفرضها عليه الحكام ، جاهلا بحقوقه وواجباته، ساذجا ، مستعبدا اي استعباد ، تسوده الخرافة ، وتمتطيه الاوهام ، ليس له من جوهر الدين نصيب ، ولا من حقيقته حظ ، فهناك مظاهر للوحدانيـة ، وحقائق جمة من الوثنية . الازهر فيه ياسة وجمود ، والصوفية ذات سلطـان وصولجان ، والمسلمون في خور وفتور ، وقياداتهم في استنامة وانهزام .

هذه بعض خيوط الصورة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين ، اما في الخارج فالخلافة العثمانية عاجزة يفسخ التفكك جسمها ، وتنهك الامراض جثمانها ، يحاول بعض الخلفاء زرقها بالقوة ، وشحنها بمظاهر الحيوية ، ولكن انّى لهم ذلك . وفي الطرف المقابل تنهض اوروبا ، وترتقي في معارج المادية ، تبهر الانظار ، وتفتن الاذهان بلافتات الديمقراطية والحرية ، وتسحر الالبـاب بشعارات المساواة والعدل ، وفي الوقت نفسه تحوك المؤامـرات ، وتنسج الدسائس ، لتمزق جسم الخلافة العثمانية ، وتوقع مصر في قبضتها .

ليس من شك ان هذه الخيوط ترسم لوحة قاتمة الالوان ، تقذي العين ، وتحرك شجون النفس ، وتولد اليأس ، فلا كوة نور ، ولا شعاع ضياء . وقد ازدادت هذه اللوحة دكانة، وظلاما بانضياف بقعةسوداء تمثل الاحتلال الانجليزي.

ان هذا الواقع الاسود المؤلم بكل ظلامه وقذارته ، بكل تفسخاته وتشوهاته ، كان أرضا لذهنية محمد عبده ، وصورة خلفية لتفكيره فآمن بالاصلاح سبيـلا للخلاص ، وبالتدرج أسلوبا للنجاة .

***

مظاهر تفكيره الاصلاحي (١) :

كان الواقع المتخلف المظلم الفاسد ـ اذن ـ أرضا وقف عليها تفكير محمـد عبده، وصورة خلفيةارتكزتاليها نظرتهالاصلاحيةالمتدرجة، .وقد تشعبتهذهالنظرة فشملت مختلف الشؤون من دين ومساجد ومحاكم ولغة الخ ... ، فآمن باصلاح

---

١ ـ اعتمدنا في رصد مظاهر تفكير محمد عبده على (تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده) باجزائه الثلاثة لتلميذه محمد رشيد رضا لانه اقرب المصادر اليه ، واوثقها من ناحيته .

الازهر سبيلا لاصلاح المسلم ، وآمن باصلاح مناهج التعليم طريقا لايجاد المتعلم . وآمن بالتقريب بين الاديان سببا لنشر الوئام والمحبة الخ ... ، وسنتعرض — الان — لمظاهر هذا التفكير وابعاده .

١ — التعاون مع وزارة رياض باشا :

استلم رياض باشا الحكم في عام ١٨٨٠ م ، وقد نفذ عدة اصلاحات جزئية منها : الغاء السخرة ، اعادة النظر في توزيع مياه النيل . وقد عين محمد عبده محررا ثالثا في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) هادفا احداث تغيير فيها ، ولكنه حينما لم ير ذلك استدعاه وسأله عن ذلك فأجاب : ان امر الجريدة ليس لي وانما أنا احد المحررين ان طلب مني شيء كتبته والا فلا . عينه — بعدئذ — محررا اولا للجريدة ، فاختار عددا من المحررين الذين يطمئن الى التعاون معهم مثل : سعد زغلول ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوي ، سيد وفا ليساعدوه في مهمة التحرير .

وضع محمد عبده — خلال تحريره للوقائع المصرية — لائحة لقلم المطبوعات أجازها وأنفذها رياض باشا ، فكان من أحكامها ان جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها مكلفة ان تكتب الى ادارة الجريدة (الوقائع المصرية) مخبرة بما عملت فاتمت ، وما شرعت فلم تتمه ، وكذلك المحاكم ترسل اليها نتائج أحكامها . وأن لها الحق في انتقاد كل ما تراه منتقدا من الاعمال الحكومية ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري ، ولها حق الاستفسار عن طريق الدولة عما ينشر في الصحف عن المصالح الحكومية ، ولها حق انذار الصحيفة الكاذبة ، واذا تكرر الانذار ثلاث مرات منع اصدارها البتة او الى المدة التي تراها الادارة . وكان من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية ان يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه مقالات ادبية يراها نافعة للامة .

وقد انتقد محمد عبده من جملة ما انتقد نظارة المعارف انتقادا شديدا ، مما أدى الى تفاهم رياض باشا مع محمد عبده على طريقة اصلاحها ، واتفقا على تشكيل مجلس أعلى للمعارف يكون له الفصل في ادارة المعارف العمومية ، وينفذ الناظر ما يقرره ذلك المجلس . فأصدر رياض باشا تنفيذا للاتفاق السابق مرسوما خديويا يقضي بتشكيل مجلس أعلى للمعارف ، وعين محمد عبده عضوا فيه .

٢ — جمعية التأليف والتقريب بين الاديان السماوية :

ألف محمد عبده جمعية سياسية دينية سرية في بيروت أثر عودته اليها من اوروبا بعد تعطيل مجلة العروة الوثقى ، وكان هدف هذه الجمعية التقريب بين الاديان السماوية الثلاثة ، وازالة الشقاق بين اهلها ، واحلال التعاون بدل الفرقة

والخصام . وكان محمد عبده صاحب الراي الاول في انشائها ونظامها ؛ وميرزا باقر هو (الناموس) السكرتير العام لها . وقد انتسب اليها بعض المسلمين والانكليز واليهود . اما المسلمون فمنهم : بيرزادة . وعارف ابي تراب تابع جمال الدين الافغاني . وجمال بك نجل رامز بك قاضي بيروت . ومؤيد الملك احد وزراء ايران . وحسن خان مستشار السفارة الايرانية في الاستانة. اما الانجليز فمنهم: القس اسحاق طيلر في لندن . وجي دبلتو لينتر مفتش المدارس في الهند . اما اليهود فمنهم : الدكتور شمعون مويال في يافا .

وقد كان (ميرزا باقر) سكرتير الجمعية ايرانيا مسلما . تنصر وصار داعية للنصرانية مع جمعية للمبشرين . وتسمى بميرزا يوحنا . التقى بجمال الدين الافغاني في ثغر بدشير في الخليج الفارسي . ودعاه الى النصرانية . فجادله جمال الدين فبدرت منه كلمة طعن في النبي عليه الصلاة والسلام . فامر جمال الدين الافغانيين الذين معه أن يضربوه . فضربوه حتى خرج يزحف على استه . وأرادوا احراق بيته . ولكنه حيل بينهم وبين ذلك .

تعرّف محمد على ميرزا باقر حينما كان يعمل في مجلة العروة الوثقى في باريس . فقد جاء الى مكتب المجلة . وطلب مقابلة السيد جمال الدين ؛ وادعى تعارفهما السابق، فانكر السيد ذلك وقال: انه لم يسمع بهذا الاسم (ميرزا باقر)؛ ولكنه عندما رآه تذكره . وأخبره . (ميرزا باقر) عندئذ بأنه عاد الى الاسلام وتسمى بهذا الاسم بدلا من (ميرزا يوحنا) . وانه مستعد لان يعمل في خدمته . وكان (ميرزا) هذا يتقن اللغة الانكليزية . فكلفه ان يترجم له ما يهمه من الجرائد الانكليزية . وقد ترجم ميرزا باقر لمحمد عبده حينما زار الاخير انكلترا حيث قابل المسؤولين الانكليز .

دعا اعضاء الجمعية الى فكرتهم في الصحف . فقد نشر المفتش الانكليزي (جي دبليو لينتر) بجريدة (الديلي تلغراف) اللندنية مقالا في ٢ شباط ١٨٨٨ تحت عنوان (الاسلام والمدارس المحمدية) صحح فيه المفاهيم المشوهة التي يحملها ابناء جنسه عن المكاتب الاسلامية بأنها (مغارات للاثم) ؛ وأوضح طرفا من حقوق المرأة في الاسلام وقارنها مع حقوقها في انكلترا ، وقال في نهاية المقال : [وإحسان المسلمين لمواليهم واشفاقهم على البهائم التي ترجع ايضا الى الرب ، وانفاقهم في سبل الخير والسذاجة التي هي من خصال المؤمنين الصادقين أحرى بأن تميلنا اليهم من ان نصيح على (النبي الكاذب) وما احسن عمل مبشرينا لو جاهدوا في التوفيق بين الاسلام والمسيحية توفيق اختين من أم واحدة] .

ثم قال : [الحرية الدينية ينبغي ان يكون معناها عدم العصبية في الدين الذي يجعل الشرقيين ان يعطوا حصة من خراج ارضهم لافضل المصالح عندهم ؛ وهو الدين ، وان كنا نريد ان نلصق المسلمين بالدولة الانكليزية فيجب علينا ان نهب لهم الدين والدنيا ، ونؤمن كما آمن اكبر شاه هندي ان الملك والدين توأمان، فكما ان دولة تخمد الافكار الدينية بين رعاياها لا يمكن لها ان تدوم ، هكذا كل دولة

لا تعامل عقائد رعاياها والكرم السواء لا تقدر على النجاح .

اما الذي أنا مصر على توكيده فهو الاتحاد بين الاسلام والمسيحية ليس من جهة الدين فقط بل من جهة السياسة ايضا .

مر زمان كان المسلم ينظر الى الانكليزي كأنه الناصر الطبيعي للعالم الاسلامي من اجل مودته القديمة للعثمانيين ، الذين يعد سلطانهم خليفة للمحمديين السنيين ، واكثر ابناء وطننا من جنسهم . هذه المودة يجب توطيدها . ومن جملة المساعي التي أؤكد الشروع فيها ادخال الشبان المسلمين (وكذا اولاد الرجوات الراجبوطية النبيلة) في مدارسنا الحربية على قصد استخدامهم مع تسوية الرتب والارتقاء بالمأمورين الاوروباويين في عساكر الهند المستقبلة التي يجب اكثارها] .

كان المفتش ـ اذن ـ يضع نصب عينيه خدمة دولته الانكليزية خلال وجوده في الجمعية ، فهو يصوّر لها حالة المسلمين كما فهمها ، ويرشدها الى الطف المداخل وادقها لالصاق المسلمين بها ، وينصحها بالمزاوجة بين الدين والدنيا في حكمها ، ويشير عليها بتدريب الشبان المسلمين في مدارسها الحربية . اين رائحة التوفيق بين الاسلام والمسيحية في كلامه السابق ؟؟!! الا اذا كان رسم الخطط في سبيل اخضاع المسلمين للدولة الانكليزية ، وايقاعهم في حبائلها يعني توفيقا !!!

واما القس اسحاق طيلر فقد كان يلقي خطبا في لندن ، ويكتب مقالات في جرائدها مكان ميرزا باقر يترجمها الى العربية ، ومحمد عبده يجري قلمه في تصحيحها ، ثم تنشر في جريدة (ثمرات الفنون الاسلامية) في بيروت ، ثم تنقلها عنها جريدة (المؤيد) في القاهرة .

وقد زار القس اسحاق طيلر مصر بدعوة من الارساليات التبشيرية ، واطلع على وضع المسلمين المتخلف ، فكف بعدها عن مدح المسلمين ، ولكنه استمر في دعوته الى فكرة الجمعية في التأليف والتقريب بين الاديان السماوية من خلال المعلومات التي استمرت الجمعية في ارسالها له .

ويظهر ان هذه اللوثة ـ لوثة التقريب بين الاديان ـ بقيت تفعل في ذهن محمد عبده بعد انتقاله من بيروت الى القاهرة ، فقد استضاف (خريستفورس جبارة) وهو شخص امريكي دعا الى توحيد الاديان السماوية في معرض شيكاغو وغيره حتى وصل الى مصر ، وتوفي فيها .

لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت كذب هذه الدعوات في توحيد الاديان ، وابانت زيفها ، وعرت هدفها الذي هو التلاعب بمفاهيم الاسلام ، وازالة صفاء أفكاره . وهي أمنية راودت اعداء الاسلام كثيرا ، وفتقت اذهانهم عن حيل عدة ، كانت البهائية أحدثها . وهم يقصدون ان يساووا في ذلك بين الاسلام من جهة ، وبين اليهودية والمسيحية اللتين طالتهما الايدي ، وعاثت بهما فسادا من جهة ثانية ، ولكن أنّى لهم ذلك ، والله القائل : [انا نحن نزلنا الذكر

وانا له لحافظون] .

لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت الايدي اليهودية الحاقدة التي هي وراء كل دعوى تمييع للقيم الدينية ، لتحطمها وتكون المحصلة (لا اديان). وترضي بالتالي حقدها الاسود ، فليس عليها في الاميين حرج ولا اثم .

لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا ، ولكننا سنحاسبه بحقيقة الاسلام الناصعة التي يقر بها ، ويدعو لها .

جاور الرسول عليه الصلاة والسلام يهود المدينة سنين طوالا قبل ان يجليهم عنها . جادلوه خلالها وخاصموه ، ودعاهم بدوره الى كلمة الايمان والاسلام ، ولم يدعهم للتوفيق بين الاسلام واليهودية . او الى التقريب بينهما ، ولو علم خيرا او بعض خير في ذلك لفعله .

حاج وفد من نجران الرسول عليه الصلاة والسلام في النصرانية . فدعاه الرسول من ناحية الى الاسلام ، ولم يدعه الى التوفيق بين الاسلام والنصرانية [قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله . ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون (١)] ولو علم خيرا او بعض خير في ذلك لفعله .

كان الاحرى بمحمد عبده ان يدعو اهل الكتاب الى هذه الكلمة السواء امتثالا لامر ربه ، واقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان الاولى بالاوروبيين حاملي هذه الفكرة دعوة قومهم الى نبذ التعصب والحقد . ونهى دولهم عن استغلال المسلمين وتخريب عالمهم . فيخدمون بذلك المسيحيين والمسلمين على السواء .

وقد أخطأ محمد عبده في دعوته الى التاليف والتقريب بين الاديان . واخطأ في انشاء جمعية التاليف والتقريب بين الاديان ، حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الاسلام ، وما كان يمكنها ذلك الا لانه لم يلتزم حد الاسلام ، بل اتبع هواه فكان امره فرطا .

٣ ـ اصلاح التعليم :

آمن محمد عبده بان التعليم سبيل انقاذ المجتمع المصري ، وبان اصلاح البرامج طريق ايجاد المسلم الصالح . وانطلاقا من هذا الايمان فقد قدم مذكرتين:

الاولى : قدمها في بيروت الى السلطات العثمانية بعد اعلان شيخ الاستانة عن صدور ارادة سنية باصلاح المدارس والتعليم عن السلطان عبد الحميد .

الثانية قدمها في القاهرة الى اللورد كرومر غب عودته من منفاه .

---

١ ـ آل عمران (٦٤) .